RESEARCH ARTICLE

Cultural patterns in the novel The Victim and the Lamp by Rawya Al-Masri

Watheq Hassan majhool *

Al-Muthanna University / College of Education for Human Sciences / Department of Arabic Language / Iraq.

ABSTRACT

Many critical, cultural, postmodern, and social studies have relied on the work of the American critic and philosopher Leach in the mid-1960s, and on Foucault's concept of discourse and power, and the relationship of discourse to scientific, literary, cultural, and epistemological institutions, our goal was to read the novel "The victim and the jellyfish by Rawia Masri" because of its overcrowding with a large number of diverse and different cultural formats, which deserve a systematic cultural study, as it represented a set of cultural formats embedded in the subconscious of the Lebanese people, which appeared during the Lebanese civil war, to float on the surface of the dominant authoritarian discourse, so the study with some terminological concepts of mechanisms, tools and formats of cultural theory The second research: it includes an applied analytical reading of a number of cultural formats included in the novel, in a concise form(for publication requirements) . Then the conclusion, which guarantees the most important results reached by the researcher in the study, is listed in the Journal of sources and references . It is God's good luck.

Keywords: **cultural harmony, victim and jellyfish, Egyptian narrator**.

مقالة بحثية

الأنساق الثقافية في رواية الضحية والقنديل لراوية المصري

واثق حسن مجهول *

جامعة المثنى ، كلية التربية للعلوم الإنسانية ، قسم اللغة العربية ، العراق.

الملخص:

كثير من الدراسات النقدية و الثقافية، و دراسات ما بعد الحداثية، والدراسات الاجتماعية، اعتمدت على دراسات الناقد والفيلسوف الامريكي "ليتش" في منتصف الستينيات من القرن الماضي ، ومفهوم الخطاب والسلطة عند "فوكو" وعلاقة الخطاب بالمؤسسات العلمية والأدبية، والثقافية والمعرفية، اذ إن النقد الثقافي عبارة عن تحليلات عميقة و مقاربة متعددة الاختصاصات " ، تنبني على الأنساق التاريخية والثقافية والاجتماعية وغيرها، ومن هنا كان هدفنا لقراءة رواية "الضحية والقنديل لروائية راوية المصري"؛ لاكتظاظها بعدد كبير من الأنساق الثقافية المتنوعة والمختلفة ،والتي تستحق الدراسة الثقافية النسقية ،اذ مثلت جملة من الأنساق الثقافية المضمر بلاوعي الشعب اللبناني، والتي ظهرت إبان الحرب اللبنانية الاهلية، لتطفو على سطح الخطاب السلطوي المهيمن. فجاءت الدراسةُ بمحورين :الأول منهما، ملخصا للبحث ،مع بعض المفاهيم الاصطلاحية لأليات وأدوات وأنساق النظرية الثقافية التي وظفها الباحث في تحليل وقراءة الرواية، والمبحث الثاني: تضمن قراءة تحليلية تطبيقية لعدد من الأنساق الثقافية المضمرة في الرواية ، بشكل مختصر(لمتطلبات النشر) . ثم الخاتمة التي تضمن أهم النتائج التي توصل اليها الباحث في الدراسة.

الكلمات المفتاحية: الأنساق الثقافية، الضحية والقنديل، راوية المصري.

Received 08-12- 2025; Revised 19-02 -2026; accepted 23-02- 2026 ; Available online 30-03- 2026.

* Corresponding author.
E-mail addresses: wathiq.hassan@mu.edu.iq **(W. H. Majhool)**.
https://doi.org/xx.xxxxx/2572-5440.1087
2572-5440/© 2025 The Author(s). Published by Al-Muthanna University. This is an open-access article under the CC BY-NC-SA license (https://creativecommons.org/licenses/by-nc-sa/4.0/).

المقدمة

يُعد النقد الثقافي من أهم الظواهر الادبية، التي رافقت ما بعد الحداثة في مجال الأدب والنقد ، وقد جاء " كرد فعل على البنيوية اللسانية والسيميائيات والنظرية الجمالية . وقد استهدف النقد الثقافي تقويض البلاغة والنقد معا؛ بغية بناء بديل منهجي جديد يتمثل في المنهج الثقافي الذي يهتم باستكشاف الأنساق الثقافية المضمرة ودراستها في سياقها الثقافي، والاجتماعي، والسياسي، والتاريخي، والمؤسساتي فهما وتفسيرا [3،ص72،73] و تتبّع نموذج بارت " قرارة المعاني المضمنة للعصور الثقافية، وتحليل الوظيفة الاجتماعية للتشييدات الثقافية الغربية، في بحث الممارسات الثقافية بداية بالأدب الرفيع وانتهاء بالموضة والطعام" [8،ص67] الا إن مصطلح النقد الثقافي، لم يتبلور منهجه إلا مع الناقد الامريكي "فنسان "ليتش" الذي " أصدر كتابا قيّما سنة 1920م ،تحت عنوان : (النقد الثقافي : نظرية الأدب لما بعد الحداثة)، ومن ثم فان "ليتش" هو أول من أطلق مصطلح (النقد الثقافي) على نظرية ما بعد الحداثة، وأهتم بدراسة الخطاب في ضوء التأريخ والسيسيولوجيا والسياسة المؤسساتية، ومنهاج النقد الأدبي وتستند منهجية" ليتش" إلى التعامل مع النصوص والخطابات ليس من الوجهة الجمالية ذات البعد المؤسساتي، بل تتعامل معها من خلال رؤية ثقافية، تستكشف ما هو غير مؤسساتي، وما هو غير جمالي كما يعتقد النقد الثقافي عند "ليتش" على التأويل والتفكيك واستقراء التاريخ ، كما علينا أن لا نخلط النقد الثقافي بنقد الثقافة والدراسات الثقافية العامة، فالنقدُ الثقافي هو الذي يتعامل مع النصوص والخطابات الأدبية والجمالية والفنية، فيحاول استكشاف أنساقها الثقافية المضمرة غير الواعية، وينتمي هذا النقد الثقافي إلى ما يسمّى بنظرية الأدب على سبيل التدقيق[3،ص76،79] كما إن المصدر الآخر للثقافات المعاصرة هو " النظرية الأدبية الماركسية في بريطانيا إن عمل ريموند وايمز" الثقافة والمجتمع " 1958 وعمل "ريتشارد هوجارت" مؤسس مركز بيرمنجهام للدراسات الثقافية الشعبية أو ثقافة الطبقة العاملة، التي لم يكن ينظر إليها بوصفها ثقافة مساوية بالأدب الرفيع هذا المشروع لاستعادة الأصوات المفقودة ولدراسة التأريخ من أسفل، واجه تنظيرا آخر للثقافة العامة(بوصفها متعارضة مع ثقافة الشعبية)، بوصفها تشكلا أيديولوجيا جائرا لأن معانيها موظفة لك تضع القراء أو المشاهدين موضع لمستهلكين " . [6،ص68] ويهدف النقد الثقافي إلى " كشف العيوب النسقية التي توحد الثقافة والسلوك، بعيدا عن الخصائص الجمالية والفنية، ويعني هذا أن النقد الثقافي هو " فعل الكشف عن الأنساق وتعرية الخطابات المؤسساتية، والتعرف على أساليبها في ترسيخ هيمنتها، وفرض شروطها على الذائقة الحضارية للأمة"" [3،ص75]

ويرى "الغذامي" إنه لابدَّ من ربط النقد الثقافي بالنسقية.. إذ حان الوقتُ لإضافة الوظيفة النسقية للعنصر النسقي.. والنسق ،بوصفة منظومة تشكّل ، "مجموعة من العلاقات المنتظمة المستقرة بين أجزاء أو عناصر كل معين وهذه العناصر تعمل معا، لكي تؤدي وظيفة محددة " وقد تتسم هذه العلاقات بايّ مستوى من مستويات التعقيد التي تسم العالم الخارجي " .[5،ص91] وهو عند الغذامي " ليس في محيط الوعي، وهو يتسرب غير ملحوظ من باطن النص ناقضا منطق النص ذاته ودلالته الإبداعية الصريح منها والضمني . وهذه بالضبط لعبة الاعيب في حركة الثقافة، وتغلغلها غير الملحوظ عبر المستهلك الإبداعي والحضاري؛ مما يقتضي عملا مكثفا في الكشف والتعيين.. ويقول : الأنساق اللاإنسانية واللاحضارية تتسرب في ضميرنا الثقافي دون كشف أو ملاحظة، أما الدلالة النسقية عنده هي "قيمة نحوية ونصوصية مخبوءة في المضمر النصي في الخطاب اللغوي، ونص نسلّم بوجود الدلالتين.. فهي في المضمر وليست في الوعي وتحتاج إلى أدوات نقدية مدققة تأخذ بمد النقد الثقافي " . [6 ،ص27،40] أي هي ليست من مقصود بارت(المرسل)، فالقارئ الحاذق هو الذي يكتشفها دون وعي المرسل فيها، فهي تبحث عن المضمر الذي غفله المرسل كنسق ثقافي راسخ في ذهنية المرسل أو بلا وعيه، وشكّلت نسقا ثقافيا وتاريخيا مسلّما به وقار . كما استهدف مشروع "الغذامي" في النقد الثقافي الجملة الثقافية، و هي نوع ثالث مختلف، إذ هي " حصيلة النتاج الدلالي للمعطى النسقي وكشفها يأتي عبر عنصر النسقي في الرسالة ثم عبر تصور مقولة الدلالة النسقية، وهذه الدلالة سوف تتجلى وتتمثل عبر الجملة الثقافية. والجملة الثقافية ليست عددا كمّيا، إذ قد نجد جملة ثقافية واحدة في مقابل الف جملة نحوية، أي إن الجملة الثقافية هي دلالة اكتنازيه وتعبيرية مكثفة، ف"الغذامي" يقول : " إننا بحاجة إلى كشف مجازات اللغة الكبرى والمضمرة ، ومع كل خطاب لغوي هناك مضمر نسقي يتوسل المجازية والتعبير المجازي؛ ليؤسس عبره قيمة دلالية غير واضحة المعالم، ويحتاج كشفها إلى حفر في اعماق التكوين النسقي للغة وما تفعله في ذهنية مستخدمها " .[6،ص27،28] أي يجب أن يكون هناك نسقان أحدها ظاهر وأخر باطن ، ويكون المضمر الباطن مناقضا أو تقيضا للظاهر المعلن ، ولابدّ ان يكون النص الذي يحتوي على نسق ثقافي موضوعا للفحص الجمالي أو الادبي، اللذان يختبئ وراءهما النسق المضمر الذي هو ضالة الناقد الثقافي؛ لأن اللغة تتوسل الجمالي والأدبي والبلاغي لتمرير أنساقها الثقافية المضمرة ، ولابدّ للنص الثقافي أن يكون ذا مقبولية جماهيرية، ويحظى بمقروئية عريضة، إذ أن الناقد الثقافي لا يقف على آليات تحليل الخطاب وطرائق استقباله، وتفكيكه وتلقيه وتأويله فحسب، بل على الاستهلاك الجماهيري للخطاب وكشف تحركات النسق المضمر داخل النص الثقافي، وتغلغله وترسخه فيه [6،ص32،33]

رواية الضحية والقنديل للروائية راوية المصري:

" القلب ينطق بالحبّ والعقل، يجعلنا نتحسس كينونتنا خارج ذواتنا، واذا استسلمنا للقلب والعقل معا نصاب بالجنون"، هكذا ابتدأت الكاتبة الروائية راوية المصري، (؟)سردها لأحداث روايتها الضحية والقنديل ، والتي صدرت عن دار البيان العربي للدراسات والنشر العام 2023م، بواقع 165 صفحة من النوع المتوسط، بأربعة فصول مكتظة بالأحداث والشخصيات والفلسفات،

التي تعالج المسكوت عنه في مجتمع يغصُّ في المشاكل الاجتماعية التي تخص المرأة أو الطائفية، وتدور أحداث حول الحرب الأهلية اللبنانية واثرها على العلاقات الاجتماعية، من حيث تصدّع الهويات الوطنية، والدينية والأسرية والأنثوية، والتي سُردت على لسان البطلة "ريم" المسلمة التي كانت تربطها قصّة حبّ منذ الطفولة بابن جيرانها "نديم" المسيحي، يُصادر والدها مشاعرها لإرضاء نفسه الكارهة زوجته وديانتها، ولا يريد أن تتكرر الحالة مع ابنته، لذلك يقوم بترحيل العائلة إلى قريته سعياً لتزويجها لابن عمها. تُجبَرُ الفتاة على الإقامة في بيت عمّها بعد أن فقدت والدتها على أيدي الميليشيات المتحاربة أثناء رحلة الموت من المدينة إلى القرية. و تتحدث الرواية عن علاقة عائلتين لبنانيتين متجاورتين ومتعايشتين على الرغم من اختلافهما الديني أو العقائدي لسنين طوال إلى حين نشوب الحرب الاهلية في لبنان، التي غيّرت مسار المجتمع الذي انقسم على نفسه و تشظت هوياته الشخصية.

المحول الثاني : الأنساق الثقافية في رواية الضحية والقنديل لراوية المصري، قراءة في الأنساق الثقافية:

ان النص سيظل وجوده منقوصا حتى " يتهيأ له قرّاء يمدونه بالطاقة والوجود بما لهم من خبرات وتجارب" [1،ص90] لذلك يرى "ايزر": ان النص الادبي يقوم على" قطبين قطب" فني وهو النص الذي أبدعه المؤلف، وقطب جمالي، وهو عملية تجسيد القارئ، وتحقيقه للنص وهو الامر الذي يجعل علاقة القارئ بالنص الأدبي علاقة ابداع لا علاقة اتباع [7 ،ص8] ومن خلال قراءتنا للرواية لمسنا بعض الأنساق الثقافية، التي سنوجه ضوء كشافنا عليها ، منها:

أولا : النسق التاريخي:

1- الاحداث التاريخية:

إن التأريخ في واقع أمره "علم التماثلات المعقدة، علم الرؤية المزدوجة فحقائق الماضي تكتب بالنسبة لنا معانيها، التي يميزها وتضعها في ثبات وحسم داخل نظام يخضع لطابع المشكلات المعاصرة، وهكذا يضع المرء مشكلات مكانه أخرى ويرجع حقائق على أخرى التاريخ بهذا منهج خاص لدراسة الحاضر بمساعدة الماضي[2،ص146] وخلال القرن التاسع عشر " مال تطور علم متخصص للتأريخ (كتابة التأريخ) إلى إبراز أهمية التميز بين الذاكرة الذاتية (التي تعنى بالحياة الداخلية)، والذاكرة الاجتماعية، لتجمعات اجتماعية أوسع، وتأتي في مقدمتها الأمم" . [12،ص344،345] فالتاريخ والجغرافية، والعقيدة الدينية والسياسية، والقومية والتراث، واللغة والهوية والآخر والتهجين.. هي الخلفية الثقافية الشاملة، التي استندت عليها رواية الضحية والقنديل . ومن الأنساق التاريخية ،ما تحدثت به البطلة "ريم" عن العم "ناجي"، فتقول : " كان كلّما شعر بضيق يبدا بسرد قصته، ولا ينهيها الا بأغنية وحكاية مأثورة، يقول فيها" إن الأتراك أيام الحكم العثماني أرسلوا باخرة كان اسمها " روزانا" محملة بجميع المواد الغذائية الرخيصة لبيعها في بيروت وللمضاربة مع تجارها ، فتكدست البضائع اللبنانية في بيروت وكادت تتلف، وما كان من تجار حلب إلا أن اشتروا البضاعة من تجار " بيروت " تعاطفا معهم ، وانقذوهم من الإفلاس فكتبت اغنية " الروزانا " لتشكر " حلب" وأهلها وتجارها :

عالروزانا عالروزان ، كل الحلا فيها، شو عملت الروزانا، الله يجازيها، يل رايحين عا حلب، حبّي معاكم راح .. " يقصد العم "ناجي" بتكرار سرد قصّة " الروزانا " إنه كان يأمل خيرا بزوجة أبيه ،لأنها رفيقة أمه، ولكن الله يجازيها على ما فعلته به وبإخوته ، التي فرقت الاحبّة وشتت شملهم " . [11،ص23] وهكذا نجد إن الكاتبة استندت في سردها التأريخي هذا على شواهد من الماضي تجارية بأسلوب تورية إجتماعي أرادت أن توصل رسالة ضمن المسكوت عنه وهي إن تركيا المسلمة كانت تحاصر شعب لبنان المسلم اقتصاديا. إن ذكر أحداث الماضي أشبه بعملية شحذها أو توثيقها لفهم غاياتها وأخذ العبر منها هنا. وقد يكون النسق التاريخي نوعا من الحنين إلى الماضي، كما جاء في قول "ريم " : " كان أبو نديم يشرب كأسا –كالمعتاد- وقد هيجت السكرة اشجانه وحنينه إلى الماضي، فكان يفرش صورا جماعية، يتذكر صديقه " خليل "بحسرة يتذكر ليالي الانس والمجون ، يتذكر سهراتهم والمناسبات التي جمعتهم، وتربية الأولاد، والرحلات والخوف على بعضهم البعض ، وتكاتفهم عندما يتعرض احدهم لنكسة صحية أو ازمة اجتماعية، لقد جمعهم حسن الجوار إلى أن جار عليهم الزمان" . [11،ص31] لاشك أن الصور هي اشبه بوثائق تاريخية ، لها دور تأثيري لما فيها من مساحات خيالية وحمولات دلالية، تسيطر على مخيلة الانسان وعواطفه ، لذلك كلّنا يسعى إلى ارشفت حياته عبر الصورة –كخطاب بصري- بخاصة اللحظات المؤثرة في الفرح أو الحزن .وإن عملية استدعاء الصور القديمة نوع من استدعاء تأريخي للماضي .

2- نسق التراث: الحكم والأمثال الشعبية:

توظف الكاتبة النسق التراثي للعبارات التراثية (الجمل الثقافية)، التي أصبحت محل إعجاب واستشهاد الكثيرين لما فيها من أنساق مضمرة مخبوء تعارض الخطاب المركزي المغالط، إذ تستشهد بوصف "شلتوت" للإسلام والمسلمين بين الشرق والغرب، بقولها" عندما زار " شلتوت" بلاد الغرب ورأى الصدق والأمانة، وحسن الأخلاق واحترام البشرية، قال : " مالي أرى الاسلام ولا أرى المسلمين؟" وعندما عاد إلى بلاد الشرق ورأى واقعنا المتخلف، قال : " مالي أرى المسلمين ولا أرى الاسلام " . [11،ص97] من الأنساق الاخرى التي وظّفتها الكاتبة في روايتها هي التراث والحكم والامثال ، وهنا نجد ان هناك نسقا مضمرا من خلال ذكر هذه الحادثة التراثية الدينية وهي ان الخطاب الديني عند المسلمين في الشرق خطاب سطحي نظري مغالط، غير واقعي أو براغماتي كما اراد ان يصفه " شلتوت " وهذا مسكوت عنه في التراث العربي والاسلامي، أي التعارض بين النظرية والتطبيق . ومن الأنساق الأخرى هي توظيف نسق الأمثال الشعبية، لغاية منها الخوف أو الخجل أو المقام أو لا يسمح بالقول المباشر

والصريح وربّما لأجل العبرة والموعظة، كذكرها للمثل الشعبي: " راحت على العين تملا الجرة انكسرت الجرة " ارادت الكاتبة ان توجه في مثلها هذا خطابا مضمرا هو لمن يسعى لعمل ما فيضر به .وهي رسالة مضمرة مررتها للمتلقي عبر هذا المثل الدارج . وكذلك ذكرها للمثل الشعبي :" وكما قال المثل" الجمل بنية والجمال بنية ونية الله تغلب كل نية [11،ص53،54] ايُّ تفسير الكلام بعكس ما هو مقصود به ، أي أخذ الناس على سوء الظن .وهذا من الأمثال التي تطلق لأغراض بلاغية ارسالية اخبارية توروية بصورة مجازية . وكذلك قولها : (يا آخذ الصغار يا غالب التجّار) " .[11،ص35]. وفي هذا المثل استشهدت واستدلت البطلة على مَن يكثر من انجاب الأولاد وعدم اعالتهم، وتربيتهم تربية جيدة وتركهم في الشوارع عراة؛ بحجّة ان مَن يملك الصغار (الأولاد) سيكون من التجّار. وهذه جملة ثقافية عرفية اجتماعية سلطوية تعموية سفسطائية مغلوطة ايضا. لما تسببت به من وجود ملايين الاطفال المشردين وغير المتعلمين في عالمنا العربي. فهي بإشارتها لهذا المثل، دعتنا لتفكيكه، واعادة بنائه، ووضع الإصبع على الجرح المسكوت عنه (النسق المضمر) .

ثانيا : النسق الديني:

1- الصراع الايديولوجي:

في الماضي كان الدين أو بالأحرى الايديولوجية الدينية هي" التي تهيج الجماهير وتجيشها، لكي تنخرط في الحركات الكبرى (كالحروب الصليبية مثلا ، أو كالدعاية العباسية التي قلبت الدولة الأموية ، الخ ...) ، ولكن بعد أن تعلمنت أوربا في العصور الحديثة حلّت الايديولوجيات السياسية محلَّ الايديولوجيات الدينية في القيام بهذه المهمة. وأصبحت الأحزاب السياسية والنقابات العمالية هي التي تعبئ الجماهير، وتجعلها تنزل إلى الشارع وبدلا من حروب الأديان السابقة بين البروستانت والكاثوليك، حلّت الحروب العلمانية بين الاحزاب الاشتراكية، والاحزاب الليبرالية" .[9،ص12] يوجد تراث ضخم من دلائل البحوث الواقعية التي تشير إلى أن الاشخاص المتدينين-طبقا لمختلف الاحكام- يميلون إلى أن يكونوا أكثر تعصبا من غير المتدينين" . [5،ص34] وفي هذا النسق تشير الكاتبة وعلى لسان البطلة " ريم " إلى نسق الزواج بين الأديان ، فوالدها المسلم تزوج من والدتها المسيحية، وهو على غير عادة الأعراف السائدة لدى الدينين الاسلامي والمسيحي .اذ تنقل ما دار من حوار ساخن وحاد وشجي بين أبيها وأمها، إذ يعاتب أمها بقوله : " أنت السبب .. لقد جعلتني أعصي أمر والدتي وتوسلات والدي ، لقد جعلتني أثور على كل الأعراف والتقاليد واتزوجك وانت مسيحي وأنا مسلم ، وأجعل أمي تغضب عني وأغادر قريتي لمجرد نزوة اصيبها" . [11،ص11] فالعنصرية والديانة ونوع الجنس والقومية -على سبيل المثال- " أكثر الفئات الاجتماعية عرضة " للقولبة النمطية " على أساس أنها تستند إلى محاكاة مميزة، من السهل إدراكها وتجميعها؛ لأن اغلبية أعضاء المجتمع يشتركون فيها" . [5ص63] وتصف البطلة حالة الإرهاب النفسي والجسدي، الذي تعرضت لها عائلتها من قبل الرجال المتشددين دينيا والمتعصبين طائفيا بقولها : " كم كانت شاقة تلك العقبة عندما أرغمت عربتنا على التوقف على الحواجز الميليشياوية، كان هناك مجموعة من الشباب يحملون السلاح ويتظاهرون بالقوة لهذا الزعيم أو ذاك مقابل حفنة خجولة من المال، ربّما لا تكفي ثمن كسرة خبز، أشهروا وسلاحهم الطائفي في وجوهنا وسط ذهولنا ورهبتنا، وتوسلاتنا بأن يتركونا كانت أمي تولول وأبي والعم ناجي تحت تهديد السلاح، ننتظر الإعدام في أية لحظة بجريرة هويتنا." [11،ص24].

2- حرب الطوائف والمذاهب الدينية:

تصف "ريم" الأوضاع اللبنانية إبّان الحرب بقولها : " في ذلك الوقت كان جلُّ ما يريده اللبنانيون أن يعودوا إلى بيوتهم سالمين من شياطين الطوائف، كلّما أرادوا الخروج من أجل شراء الخبز لأطفالهم وحاجياتهم ودوائهم ،يودعون عائلاتهم وكأنه اللقاء الأخير ، فالقنص يتربص بهم في أي لحظة من دون رحمة لكبير أو صغير[11،ص18] وهكذا تكشف الكاتبة زيف الطوائف وتعاملهم اللاإنساني فيما بينهم، والذي وقع ضحيته الأطفال ضمن حرب التجويع والإرهاب، والتدمير الطائفي . فالجوانب الساحرة والاسطورية من الأحداث هي التي " تدهش الجماهير دائما، وتؤثر عليها، والواقع أن العجيب والساحر والاسطوري، هما الدعامتان الحقيقيتان للحضارة... ولما كانت الجماهير عاجزة عن التفكير الا بواسطة الصور (الخيال)، فإنه لا يمكن جذبها أو التأثير عليها إلا عن طريق الصور " [9،ص87] ومنه ما وصفته" ريم : من حالة التناقض والازدواج التي أصابتها وهي ابنة الطائفتين ، بقولها : " اه من الم تلك اللحظة، وأبي يجرني من شعري وأنا لا أشعر إلا بألم الروح لحظة تقلب أبي فجأة أنا أبنة الطائفتين، وجرحي هو الخط الأخطر الذي جعل لبيروت وجهين " .[11،ص20] فالعنف الدين -كنسق ثقافي ايديولوجي - كان اشد وقعا على عائلة "ريم" عبر الانفجار الذي لم يمهل عائلتها حتى لبس أحذيتها .! ،بوصفها لمشهد :" كنا ستة أشخاص نركب عربة العم : ناجي" الصغيرة وحقائبنا المحملة بالآلام مربوطة بحبال الحزن ، في تلك اللحظات لم نكن نشعر بالالتصاق ببعضها البعض، وكأننا أكوام لحم لم يمهلنا الخوف كي نلبس أحذيتنا بعد الانفجار الاخير، الذي هزّ جدران منزلنا ونحن نهمُّ برصف الحقائب، ونتعهد باب بيتنا عسانا نعود إليه في يوم ما" . [11 ،ص21] وفي مشهد دموي قاس وصفته "ريم" بالخط الاحمر بين الاطراف المتصارعة فتقول : " انقسمت " بيروت " بين شرقية وغربية مثلما انقسم قلب امي وزلزل الموت اركان استقرارها ، وسمي الخط الفاصل بين الميلشيات باسم الخط الاخضر، ولم يكن سوى وادي دماء تصدعت العلاقات الاجتماعية واصبح السلاح لغة الغوغائيين والقانون الوحيد في البلد ففجعت القلوب ، وصرنا نعد الضحايا يوميا مع نشرات الأخبار ، واستمر العنف والتهجير القسري وويل لكل من يجتاز خط التماس فيصبح الأخضر أحمر بلون

الدم " [11،ص20] لاشك أن الذهاب إلى الأيديولوجية المخبوءة عبر الخطابات السيادينية أو أو الأدبية، التي بنيت عليها الأنساق الثقافية في المجتمع اللبناني من قبل الكاتبة، هي بمثابة مصابيح كاشفة للمسكوت عنه في تلك الأنساق السلطوية الدوغمائية السفسطائية، عبر الدلالات النسقية المضمرة فيها ،فالأيديولوجية مفهوم حاسم في دراسة الثقافة الشعبية.

ثالثا : النسق الجنسي:

يبدو إن الحركة ولغة الجسد النسائية الجنوسية للإلهة الإنثوية القديمة، وفي معظم المنحوتات والصور والرسوم، أخذت دورا رمزيا في خلق وتدعيم معنى دلالي أو تأويلي لدال المرأة في تلك الحضارات والعصور، إذ نجد إن هناك منحوتات رمزية تركّز على اجزاء أو اعضاء معينة من جسد المرأة .. لتكون أكثر جمالا وسحرا وإنجذابا للأخرين، ولتدل على الخصب والامتلاء والنضج والتضخم والاكتناز. فضلا عن التزيين والوشوم، والأوضاع التي اتخذها جسدُ المرأة من وقوف أو الجلوس أو وضع الولادة والاضطجاع أو وضع الرضاعة أو اداء الطقوس الدينية أو أعمال الزراعة .. وغير ذلك من أوضاع تنم عن سمة حركية حيوية، وتشاركية بين الرجل والمرأة .ما دفع الرجل لإتخاذها زوجة أو إلهة لتعبد وأم كذلك، لتشكل عضوا رئيسا في الثالوث التشخيصي الالهي فيما بعد" . [10،ص50-70]

1--الاغتصاب :

لاشك أن معظم الحروب تصاحبها سلوكيات الاغتصاب؛ لعدوانية المعتدي وشهوانيته وجهله وتعصبه، ولتهيج غرائزه الجنسية المكبوتة وطفحها، التي دفعته لارتكاب أبشع الجرائم الإنسانية في ظروف غير طبيعية استثنائية، تكون فيها المرأة في وضع ضعيف ومحرج ومكره وهي منزوعة القوّة والإرادة والسلطة، فتصف البطلة "ريم" محاولة اغتصابها من قبل أحد العناصر الميليشياوية، بقولها : " إن أحد العناصر قام بسحبي إلى غرفة صغيرة، وأقفل الباب وراءه وبدأ ينهش جسدي ، وتمزيق ملابسي ، وأنا كنت استغيث وسط هرج ومرج بالخارج وتوسلات أم مقبلة أحذيتهم فقاومت كمارد يريد أن يخرج من الطوق ، ولم يقدر على اغتصابي فتمكنت من الخروج عارية ولحق بي هذا الحيوان المسعور فاعترضته امي" [11 ،ص25] وتؤدي مشاعر الكراهية بين الجماعات الراديكالية المتطرفة في ظل حالات الانفعال العصبي الاعمى العميق إلى " مرحلة اخرى من سلوك العنف أو شبه العنف الذي يتمثل في العدوان الجسماني على اعضاء الجماعة موضوع الكراهية" [5،ص67] ومن مشاهد الاغتصاب والأنساق الثقافية التي ذكرتها الروائية ، مشهد وصول نضال إلى القرية إذ تقول على لسان البطلة " ريم " : " وصل "نضال" إلى القرية ليتفاجأ بطبول الفرح تقرع ، وأخته ستزف الليلة ، فالنسوة يشرفن على زينتها وهي ببراءة طفلة تتخيل شكل عريسها لا تعرف شيئا عن الزواج غير ارتداء الفستان الأبيض ، وسط زغاريد النسوة وإطلاق الرصاص مدوّيا بصوت الجهل، دخل العريس على عروسه، وهي مُمددة على ثلاثة فرش من الصوف في منتصف الغرفة ،ترتجف" .[11،ص46] ففي هذا المشهد الدرامي، تومئ الكاتبة إلى وجود نسق ثقافي اجتماعي نمطي مسكوت عنه، تريد من القارئ وضع الإصبع عليه عبر الكشف عن دلالاته النسقية المتلبّسة فيه . بأن النسق الاجتماعي الثقافي للزواج تلبّس بخطاب اجتماعي دوغمائي قهري، جعل من جسم المرأة وعاء للذكورة والفحولة، و سلعة تُباع وتُشترى ضاربا المشاعر والفوارق العمرية والتعليمية والثقافية والعقائدية عرض الحائط، في مجتمع قرويّ لا يفقه منها شيئا، وهو يغرق في خطاب سلطوي تعموي سفسطائي قهري، سلب من المرأة كلَّ حقوقها .

2--زواج البنت من ابن عمّها بالإكراه:

تصف البطلة نزعة والدها السلطوية القهرية بفرض ابن عمها عليها وعلى أمها بالقوة .وبهذا توضح نسقا اجتماعيا اعتادت عليه المجتمعات العربية لقرون خلت طوال .ما كنا نأمله من الكاتبة أن تبتعد قدر الامكان من تحديد أدق تفاصيل وملامح شخصيتها، بخاصة ما تقوم به من أحداث وما تشعر به من مشاعر وما تصفه من مواقف مرّت بها؛ لكي تترك مساحة تأملية تنّشط فكر المتلقي وعملية تلقيه القراءة لكل شيء دون إشارات تفسيرية من قبل الكاتبة، التي كانت تفسيراتها بمثابة قتل التلقي وعدم مشاركة المتلقي في محاسبة أو مساءلة. وهو ما اعيب على "بلزاك" لإكثاره من الوصف. اذ عُدّ المتلقي قارئا ومشاركا فعليا في عملية صنع الدلالة أو القراءة أو الفهم المشاهد، كما دعت اليه نظرية التلقي أو الاستقبال الحديثة. إن عملية اقصاء المتلقي من النص كسر لأهم عوامل تأثير السرد في المتلقي، وهو التشويق. ومن ذلك قولها " حضور العم ناجي جعل امي تتشجع وتصدح بالرفض، : لن أزوج ابنتي لشاب لا تعرفه، إنها ابنتي مثلما هي ابنتك" .[11، ص12] فالكاتبة تشير إلى وجود نسق ثقافي إجتماعي اسمه الزواج بالإكراه من أولاد العم، تحت مسمّى الحفاظ على العائلة والدم والعرق والنسل، واسُتغل هذا النسق لسحق مشاعر المرآة وسلب حقوقها، بخاصة في المجتمعات القروية. وهذا ما أكده قول ابي "ريم " بقوله : " ليكن في حسبانك سنذهب للعيش في القرية، وإن لم يعجبك الامر –الباب يفوت جمل" [11، ص14] فترد أمها على أبيها : " دعنا نتكلم بهدوء، الفتاة مازالت صغيرة ولا تعرف ابن عمها ، ولم تبلغ سن الزواج ، واريدها ان تكمل تعليمها، وتتزوج من شاب تحبه".[11،ص12] فترد عليه ام ريم يقولها :" أليس من الظلم أن ترغم أبنتك على الزواج لترضي والدتك ، وتطبق العادات والتقاليد على حساب سعادة غضة على شفاه ابنتك ؟ " [11، ص15،14] ومن أنساق الاغتصاب أو زواج الإكراه قول البطلة : " لم يكن لي ولإخوتي الكثير من الخيارات، كي نختار الأفضل وتوالت الأحداث ثقيلة بحثوا لأختي " سلوى " عن زوج ، وهي أبنة الاثني عشر عاما للتخلص من ثقل مصاريفها ومسؤولية صونها ،لذلك تردد السنتهم : الفتاة لا يسترها الا بيت زوجها ، هم يرون إن الفتاة

تجلب العار لأهلها ، خاصة وأنها ولدت في المدينة وتربت على يد ام متحضرة، فيجب التعجيل بتزويجها [11،ص34].

-3 النضج والبلوغ الجسدي:

الكاتبة حاولت كسر الرتابة والتقليد والمحاكات السردية المعتاد عليها في الروايات العربية، لتأخذ أسلوبا وطرحا أكثر جرأة ومغايرة، وهي توجه كاشفها نحو المناطق المعتمة والمسكون عنها في المجتمع القروي اللبناني ،ربما لصدمة المتلقي أو لكسر رتابة السرد العربي فتصف علامات بلوغها بقولها : " أهذا كلّه لأني اكتنز بالأنوثة وبرز نهدي، واستقبلت العادة الشهرية بعدما بلغت الأربعة عشر عاما" [11،ص11] فهي تشير إلى إن جسد " ريم " – كدال- ينمو لتنمو معه كلُّ المداليل التي تنتقل فيه إلى عالم، يؤهله لأن يكون عنصرا فاعلا في مجتمع لا يفقه منه سوى المادية الغريزية والشهوانية .

-4الفحولة الانثوية (المستهترات)

يعود تاريخ الاستعمال الواسع "للمستهتر" و"السحاقية" كإشارة إلى المثلية الجنسية لدى الذكور والإناث إلى " أواخر الستينيات وبواكير السبعينيات، وقد اقترن بظهور حركة تحرير المستهترين وبدءا من عام 1969 في الولايات المتحدة .. ومع انتشاره السريع في أغلب البلدان الغربية كانت سمته المحددة هي رفض وصمة العار والتعصب التي إقترنت بالجنسية المثلية ورغبة جديدة من جانب الناس المثليين جنسيا في تأكيد هوياتهم الجنسية علنا (الخروج إلى العلن) . وقد استطاع "فرويد" أن يرجّح كثيرا من ظواهر الحمق والهستيريا وارتباك الاعصاب إلى" التصادم الذي يحدث في داخل النفس بين مبادئ الانسان الخلفية، وما يهفو اليه فؤاده من شهوات جنسية عارمة " .[11،ص17] ومن أنساق النساء الفحوليات في رواية "الضحية والقنديل"، مما ذكرته "ريم " عن زوجة ابي العم ناجي بقولها : " ان العم ناجي لا يكلف عن سرد الوان العذاب الذي يصب عليه وعلى اخوته من زوجة الاب، فقد كانت تصفده بأصفاد تحت نار الشمس الحارقة ، وتكوي جلده بالنار وتمرغ وجهه بالقاذورات . كل هذا العذاب وكان العم ناجي يحمل قلبا ماسيا عطوفا لم تكن تنفع شكواه لأبيه ما كان ليصدقه ،لأنه احبَّ زوجته الثانية حبا أعمى كما يقال ، كان ناجي اكبر اخوته، ولم يستطع التخلص من العذاب حتى بلغ عمره خمس عشرة سنة فقرر الهروب مع اخوته من دون وجهة يعلمها، المهم ان يخرج من هذا السجن المقيت ويحرر اخوته من ظلم زوجة ابيهم " [11،ص22] نلحظ ان شخصية العم ناجي كانت شخصية ثانوية مساعدة تشكّلت ملامحها سرديا عبر وصف البطلة "ريم" لها، لكن الكاتبة اعتزت عليها لتمرير أنساقها الثقافية بحكايات درامية، اقرب إلى الواقعية، ونجحت في ذلك ، حينما وصف شخصية زوجة أبيه السادية الفحولية. فأرادت الكاتبة أن ترسل رسالة إلى المتلقي بأن هناك من النساء القرويات يمارسن الفحولة نفسها على الرجال أو النساء (سادومازوخية).وهذا نسق ثقافي اجتماعي قار ومسلّم به في معظم بلداننا العربية، انطلاقا من البيئة والتربية، والعقد النفسية والأمراض الاجتماعية، ما جعلهن غير متوازنات سيكولوجيا أو مضطربات سلوكيا أو متحولات جنسيا .

وتصف " ريم " المسترجلة أو المستهترة جارة بيت عمّها " رويدة " إذ تقول : " رويدة التي كانت تسكن وحدها بعد أن توفي والدها، وكان بيتها ملاصقا لبيت عمّي كنت احسّ انّها تعطف عليّ، لذلك احسست معها ببعض الراحة" رويدة " تجلب الزبائن لزوجة عمي من القرى المجاورة، وتمجد اعمالها ، فكانت لها مكانة خاصة عند العائلة وكلمتها مسموعة ،لذلك تتجرا على الدفاع عني احيانا، وتأخذني إلى بيتها وتلاطفني خاصة عندما اتعرض للضرب ... طبعها غريب ومتحول بين القساوة واللطف فغالبا ما كانت تعاملني معاملة خاصة ، وتشفق علي ولا تضيع أي فرصة كي أبيت معها في منزلها ولما ارفض أحيانا النوم في منزلها تهددني بتأليب زوجة عمي علي، فينخلع قلبي خوفا فتحضنني وتقبلني ، وكانت كثيرا ما تشرف على استحمامي وتستمتع بملامسة جسمي الطري ، وتلامس نهدي البارزتين ، وتلبسني ملابسها القديمة التي كانت تلبسها قبل أن يزيد وزنها ، وتسرح شعري الطويل وتجدله ، وتعطرني ..وتضعني في احضانها وتتحسس بأصابعها جسدي وشفاهي وتداعب شعري ، وقبل النوم كانت تفتح علبة حلويات وتطعمني منها ، والغريب احيانا عندما ارفض ان اكل منها تلح علي، وكلما اكلت الحلويات يرتخي جسدي واستسلم للنوم ، وعندما أصحو اشعر اني لست على ما يرام وأجد جدائلي مفككة ، وانا شبه عارية وتوجد بقع زرقاء في جميع انحاء جسدي وفي عنقي وفي مواطن حساسة فكنت ارتيك ولا أجد لذلك تفسيرا وتدور في خاطري قصص الجن وأحس بالرعب وأتألم في صمت ..وهكذا كل ثلاثة أو اربعة ايام تطلب " رويدة " من زوجة عمي أن تصطحبني معها إلى بيتها بحجّة انها مريضة، وبحاجة لاحد يعتني بها أو يساعدها في اعمال المنزل " [11،ص40] ويعود هذا النسق إلى ذات السبب المتمثل ب " طغيان الإلهة الام ومحاولة جمعها للصفات الذكرية- ايضا- حيث تبرز مجموعة من التماثيل التي تظهر هذه الالهة بأعضاء مزدوجة ذكورية وأنثوية، وقد سمها البعض " فينوس" الذكرية " .[10،ص99] و يمكن إرجاع كلمة " السحاقية " أو "المستهترة " إلى بواكير القرن السابع عشر ، وهي تشير إلى "سكان جزيرة " تيسيوس " موطن الشاعرة " سافو "التي كانت قصائدها تتغنى بالحبّ بين النساء. وكانت " السافوية " في أواخر القرن التاسع عشر تستخدم الوصف العلاقات الجنسية . " غير الطبيعية " بين النساء فأصبحت النزعة السحاقية نعتا مقبولا على العموم في الخطاب الأدبي، وفي الثلاثينيات استخدمت كلمة " السحاقيات " على نطاق عام كاسم على سبيل المثال ، صار يمكن إلان وصف " المرأة المسترجلة " بانها سحاقية" .[12،ص617] لاشك أن الكاتبة أرادت أن تشير إلى التحول الجنسي من دال إلى مدلول أو العكس، وهذا نتيجة لأمراض اجتماعية أو سيكولوجية، قد تحدث عنه "فرويد" و"نيتشه" و"سارتر" و"فوكو"

و"ماركس" في ثنايا مؤلفاتهم . كذلك في خطابات "ما بعد الحداثة"، التي أتاحت لهذا النسق بحرية الانتشار والتعبير عن ذاته في أوربا . لكن ما أرادت الكاتبة الإشارة اليه هو ما يجري في الكهوف والغرف والمناطق المعتمة في تلك المجتمعات القروية، كأنساق ثقافية تضم في طياتها وجنباتها دلالات نسقية مسكوت عنها، ومتعارضة مع خطاباتها المركزية.

رابعا : نسق الفحولة الذكورية:

1-فحولة الإرهاب النفسي أو الجسدي:

ومما جاء من نسق الفحولة في الرواية ، قول العم "ناجي" لوالد "ريم" : " لقد قضينا السهرة معا، ولم يكن يظهر عليكما ايُّ خلافٍ! أيُعقل ان ترعبا الأولاد في هذه الساعة المتأخرة من الليل ، ما هذا الجنون ؟1 "[11،ص12] إن والد ريم كان يمارس دوره الفحولي لكبح جماح الاطفال وارهابهم ، بدافع الحرص عليهم أو اخضاعهم لسطلته الأبوية المركزية النسقية الاجتماعية .وبما إن الكاتبة لها باع في تعليم الأطفال وعلم الاجتماع فقد نجحت في كشف المستور أو المسكوت عنها اجتماعيا في المجتمعات القروية السلطوية . فهناك إشارات إلى إن هذا الخطاب والنسق المركزي، سيولد أمراضا اجتماعية ونفسية مبكرة ،لدى الأطفال، وفي المستقبل كذلك ، بسب هذا العنف والإرهاب المفرط ضدّهم . وهذا تبرير لاضطراب وتناقض نفسية وسلوكيات البطلة فيما بعد من قبل الكاتبة لتدلل على وجهة نظرها في هذا النسق . فترد امها بتحسر فتقول : " أ نسيت فجأة ما جمعنا من حب؟!، هل صار حبّنا ذنبا مقترفا، وتريد أن تكفّر عنه بأن تقدّم ابنتنا قربانا لشهوة ابن أخيك، واسترضاء لغرور امك ؟! " .[11،ص11] فتقول "ريم " : " كلّما أرادت أمي أن تناقشه يهجم عليها بغية تعنيفها والعم " ناجي" يمكسه ويحاول تهدئته وأنا واخوتي كنا نقف في حالة ذهول يخيم علينا " .[46،ص14] فوالد ريم مارس رجولته وفحولته على الأسرة بشكل يدعو للدهشة منها .

2-ضرب الأطفال لتأديبهم:

ومن انساق الفحولة في المجتمع الشرقي القروي ايضا ، ضرب الاطفال من قبل الاعمام أو الاخوال بحجّة تأديبهم ، فتقول "ريم " : " وكما هي العادات البالية حق في بلداننا للعم والخال والأخ الأكبر؛ تأديب كلَّ من أراد تأديبه من أفراد العائلة بحجّة التربية ،على الرغم من ابتساماتنا البريئة وكلماتنا العطوفة، ونظاهرها بالعقلانية وبالطهورية إلا أننا نخفي عنفا كبيرا بدواخلنا وقدرة على استبطان الكراهية والانانية والخبث " . [11،ص21،20] فبحكم تجارب الكاتبة (كباحثة اجتماعية) وخبراتها (العمل في التعليم)، التي وظفتها في كشف النقاب عن هكذا انساق بالية –كما تدعي- لتكشف ماسُكت عنه من دلالات نسقية متعارضة مع الخطاب المركزي، الذي يوجب ويقرّ بضرورة تأديب الاطفال بالضرب؛ لتربيتهم تربية حسنه على وفق العرف أو التقاليد الموروثة تاريخيا. ومن هذا المنطلق، كانت شخصية والد ريم " خليل " شخصية فحولية عصامية، إشكالية جدلية، قبلية عرفية، سادية قلقة، ومضطربة، وهي شخصية غير ثابتة على الرغم من كونها محورية في كثير من الاحداث، التي روتها البطلة.

3 -الحرمان من الإرث:

تصف :" ريم" حرمان والدة أبيها له من الإرث فتقول على لسان أبيها لإمها : " هذه نتيجة تربيتك كانت أمي على حق عندما نصحتني أن لا أتزوج إمرأة مثلك، وغضبت علي طوال حياتها، وحرمتني من إرث ابي ، حتى البيت الذي بنيته بتعبي وعملي لسنوات في مصانع " بيروت" لم تسمع لي بأن أسكنه ، لقد كنت انت وابنتك وجهي شؤم عليّ "[11،ص20،19] . وهكذا يمتد كاشف الكاتبة لفضح كل الدلالات النسقية المخبوءة في الخطاب الثقافي الاجتماعي العرفي المتعارض مع العلم والمنطق والانسانية والعدالة ، ضمن خطاب ثقافي مركزي تسلطي منهجي دوغمائي، سلب حقوق المرآة في الورث أو الميراث كذلك .

-4انجاب الذكورة دون الأنوثة:

وتنقلنا الكاتبة اللبنانية رواية المصري، إلى محطّة أخرى من محطّات أنساقها الثقافية ، لتكشف لنا عن نسق آخر مخبوء تحت نقاب العرف الإجتماعي، وهو انجاب الذكور دون الاناث وهو عرف يعود إلى عصور ما قبل الاسلام إلى يومنا هذا، على الرغم من تعارضه مع الخطاب الديني .! ، فتصفه على لسان البطلة "ريم" البطلة : " لقد صارت انوثتي صارخة في مقتبل العمر، واني قادرة على انجاب كثير من الأطفال، وهذا هوس كل رجل يريد تعزيز مكانته بين عشيرته، وخاصة اذا انجب الذكور، فدأب الكثير من الرجال التفكير في سدّ جموح غرائزهم والتباهي بذكورة زائفة ،فيكدسون كومة من اطفال، يعيشون جميعهم في بيت واحد ويسرحون في الشوارع بحثا عن تسلية أو مشاغبة، عراة حفاة ينهشهم الفقر، وينال منهم الحرمان ،وكان اقليتهم يزاولون التعليم في المدارس. فالمجتمعات المغلقة لم تصلها التغييرات في مفاهيم الحياة واصولها، ما زال شعارهم أقاويل الأولين : (يا آخذ الصغار يا غالب التجّار). [11،ص35]، ومن الأنساق الاخرى التي تخصّ علاقة الرجل بالمرأة ، الزواج من فتيات قاصرات للسيطرة عليهن عبر نسق فحولي ذكوري تدميري، كما جاء على لسان البطلة " ريم " ،اذ تقول :" مازلنا نقتات من افكار بالية تعدّ المرآة لا كيان لها، بل هي مجرد خادمة؛ لذلك يرى الرجل أنه من الأفضل أن يتزوج فتاة صغيرة كي يطوعها ويشكل كيانها، ويجعلها مثل العجينة بين يديه؛ لكن المرأة الراشدة ربّما تكون متمردة"[11،ص35] .

5-الخيانة الزوجية:

تومئ الكاتبة إلى إنه من أسباب الخيانة الزوجية ، الفوارق العمرية والثقافية والطبقية والعادات والتقاليد والبيئات، وغيرها كالثأر من خيانة الزوج –مثلا-، وهي بكثر في مجتمعاتنا العربية التي يمارس فيها الرجل سلطته القهرية على المرأة الضعيفة، كأنساق ثقافية قهرية تعموية سلطوية في

مجتمعاتنا العربية، كما جاء من خيانة زوجة "سليم" الأوربية، فتصف" ريم" حالة الخيانة بقولها :"أحسست بهمٍ قد انزاح عن صدري لما غادر " سليم " القرية وكانت أول صفعة له من زوجته ان فاجأها بالعودة إلى البيت ذات مرة ، فوجد سليم باب غرفة النوم مقفلا وسمع صوت زوجته تهزّها شهقات اللذة، وهي في أحضان عشيقها، وإنصاع لأدبيات عدم الازعاج حتى انتهوا من طقوس اللذة ، من دون أن تتحرك فيه ذرة كرامة، فقد كان "سليم" غارقا في الدياثة ، واهله يعظمون صورته. لقد كان لا يجرؤ على التدخل في خصوصيات زوجته ، ولا يمنع جموحها لكثرة العلاقات الجنسية، بل كان كثيرا ما ينتظرها في الخارج حتى تكمل إفراغ نزوتها، ولا بتردد في ان يخرج من البيت كي تكون في أريحية مع عشيقها)). [11،ص47]

6-غسل العار:

تتحدث البطلة "ريم" عن محاولة قتل "نضال" لقتل اخته "سلوى"؛ لغسل العار في ليلة زفافها من ابن شيخ العشيرة، وذلك لأخباره، بأنها غير باكر على الرغم من صغر سنها، فتحكي "ريم" الحادثة بقولها : "ودارت احداث تلك الليلة متسارعة، يجب إكمال زواج ابن شيخ العشيرة، فتم اختيار عروس أخرى من المعازيم، وانبرى ذلك الديوث " سليم" متوعدا بتطهير شرف العائلة الذي دنسته " سلوى "بعهرها-ظلما- وناول "نضال" خنجرا وامره ان يقتل " سلوى " في الحين حتى يمحو ما لحقهم من عار" .]52،ص47] ، وتستغرب البطلة من سلوك وشخصية "سليم" الازدواجية تجاه النسوة في القرية، اذ تقول:" المخزي ان " سليم " يلبس لبوس المتدينين، وقد حرّض على قتل اكثر من فتاة في القرية بتهمة الزنى، لقد كان يحاول اظهار دفاعه عن الشرف ، وهو لا شرف له" [11، ص44،43]، لقد فرّق الدكتور "علي الوردي" بين المنافق والمزدوج الشخصية بقوله: " المنافق مزدوج في قوله وفعله، ولكنه يعرف إنه مزدوج، إذ هو يتقصد هذا الازدواج، لكي يتزلف إلى شخص أو يطلب منه شيئا. اما المزدوج الشخصية، فهو لا يدري بازدواجه وهو لا يريد ان يدري ان له في الواقع وجهين، يداري الواعظين بإحداهما ويداري بقية الناس بالأخر. واذا ذُكِّر بها انكر، وربّما ارعد وزمجر [11، ص19]، وبهذا تطلعنا الكاتبة على نسق ثقافي اخر يمارس فيه رجل الدين ضد المرأة واتهامها بالزنى دون ادلة أو حق أو عدل، كون رجل الدين يتمتع بحصانة دينية مقدّسة مررت خطابه الاجتماعي كسلطة تمنع ايَّ اعتراض عليها أو حتى مساءلتها، بالتعبير عن المسكوت عنه للدلالات النسقية المتعارضة معه، اذ ان معظم أعمالنا ناتجة عن العقائد الايمانية، امّا التفكير النقدي، وانعدام المشاعر اللاهبة،" فيشكلان عقبتين في وجه الإنخراط والممارسة، ويمكن تجاوزهما عبر التحريض والدعاية. ولهذا السبب ينبغي أن تستخدم الدعاية لغة الصورة الموحية والمجارية أو لغة الشعارات البسيطة، التي تفرض نفسها فرضا دون مناقشة" [9،ص23].

الخاتمة:

-1-نلحظ إن الكاتبة تعمّدت السرد اللفيف في تعشيق الحكايات الثانوية جنبا إلى جنب مع الحكاية السردية الأم ،ضمن مستوٍ سردي بطئ جدا أثقل القارئ بحمولات كسر الإنظار في مشاهد الوصف، والتي كانت تُروى بلسان البطلة أشبه بالمنولوج الداخلي . فالراوي –هنا- راوي عليم بكل تفاصيل الأحداث ومعرفة أحوال شخصياته برؤية خلفية.

-2-الروايةُ مثّلت مجموعةً من الحكايات المتشاكل والمتداخلة أو المتعارضة ،سُردت بلسان الراوية العليمة وبطرائق مختلفة ضمن رؤى الكاتبة.

-3 -الروايةُ مكتظّة بالأنساق الثقافية المختلفة والمثقِلة لكاهل المجتمع اللبناني ،التي اضُمرت خلف خطابات سلطوية مركزية في مجتمعاتنا العربية، أرادت الكاتبةُ ان توجّه ضوء كاشفها، لكشف النقاب عنها كمسكوت عنه ، ضمن الدلالات النسقية المضمرة . وهو ما عمل عليه الباحث ضمن نظرية النقد الثقافي، والنظرية التفكيكية، والتأويلية، والتاريخية.

-4-كشفت الروايةُ معاناة المرأة العربية مع فحولة الرجل العربي، بخاصة القروية من عدم تعليم واغتصاب وزواج بالإكراه وانجاب ، والغاء لشخصيتها، وتجاوز لحقوقها ،وكبح لمشاعرها وغير ذلك.

-5-حاولت الكاتِبةُ ان تُرسل رسالة إلى المتلقي مفادها ، ان الحروب الاهلية عمياء ومتغولة و أيديولوجية، قاهرة للمجتمعات التي تتوغل فيها بحجج واهية، لتهيج مشاعرها وتدفعها للهلاك، والجوع والفقر أو الموت.

-6-تعددت شخصيات الرواية وأحداثها وحكاياتها وأساليبها وأمكنتها وازمنتها، بأسلوب سردي لولبي لفيف إلى درجة أدخلت المتلقي في حيرة من أمره، وهو يتشوق لمعرفة نهاياتها ببالغ الشوق، ولما فيها من وسائل إقناعيه بالغة، جعلت المتلقي يعيش أجواءها كمشارِك في واقعيتها بلا وعيه، وهو مطلب نظرية القراءة الحديثة .وان تركت الكاتبة نهايتها مفتوحة، ربّما لاستكمال الأجزاء الأخرى للرواية مستقبلا.

-7-كشفت الرواية عددا من الأنساق الثقافية (الشاذة) التي هيّجتها الحرب الاهلية (كالاغتصاب، والشذوذ، والزواج بالإكراه، وغسل العار ، والعصابات الاجرامية)، لغياب سلطة القانون، فظهرت هذه الأنساق المضمرة وراء خطابات مركزية قانونية أو اجتماعية عرفية أو دينية، وعادت لتشغل مساحة معين مستغلة غياب القانون والفوضى، لتطفو على السطح، وتشكل خطابات مركزية بعد إن كانت أنساقا مضمرة ومهمشة.

الإحالات التي وردت في المتن:

(1*)ولدت الكاتبة والروائية السويدية من اصول لبنانية ، رأوية المصري في بداية الحرب الأهلية اللبنانية عام 1975 من اب وام لبنانيين. هرب والدها إلى منطقة "جونية" من الفقر والتهميش في مدينة "بعلبك" ، وعاش هناك ثلاثين عاما إلى ان اندلعت الحرب الاهلية اللبنانية، حيث هُجِّرت الكاتبة مع عائلتها، وهي في الاربع شهور من عمرها. ثم انتقلت إلى مدينة "بعلبك" حيث أكملت

دراستها الثانوية، وحصلت على شهادة في التمريض، وعملت كممرضة لمدّة ثمان سنوات في "بعلبك"، وواصلت مسيرتها الأكاديمية، فحصلت على شهادة في علم الاجتماع. والمصري أم لثلاثة أولاد، هاجرت إلى السويد، حيث أكملت دراساتها في مجال علم اجتماع الأطفال. وعملت مدرسة ومرشدة اجتماعية، وهي تتكلم اللغة العربية السويدية والانكليزية، وتحمل الجنسيتين اللبنانية والسويدية. كما عملت الكاتبة مندوبة مبيعات، ومترجمة ثقافية، ومعلمة. بدأت المصري مسيرتها الأدبية بكتابة قصص قصيرة، ومقالات نقدية جريئة في الصحافة المحلية والعربية والعالمية ثم كتابة عدد من الروايات، وهي كاتبة متمردة على كل أنواع القيود الاجتماعية والأعراف والتقاليد والعقائد البالية والمسكوت عنها في المجتمع اللبناني. إنمازت كتاباتها الصحفية أو السردية بدفاعها المستميت والجريء عن حقوق المرأة اللبنانية في القرى، لذلك هي كشفت النقاب عن معظم المشاكل والاعراق، التي كانت تغيّب وتستغل المرأة، لدوافع تراها غير منطقية أو مبررة انسانيا، وقد سُكت عنها عدّة قرون، فحان الوقت لكشفها وتعرية سفسطتها وازدواجها عبر حفريات سرد نقدية .

المصادروالمراجع:

1- باعيس، عبد القادر علي، في مناهج القراءة النقدية الحديثة، ط1، دار حضرموت، صنعاء ،2004م.

2- تودوروف ،كلر كنت بنيت ، شولز كوهن، ماي أوشر ، فوكو، جولدمان ،القصة الرواية المؤلف

3-حمداوي، جميل، نظرية النقد الادبي في مرحلة ما بعد الحداثة، ،د.ط،المغرب، 2011م.

4- ـــــ ،دراسات في نظرية الأنواع الأدبية المعاصرة ، تر : د. خيري دومة ، مراجعة : أ.د. سيد البجاوي ، دار شرقيات للنشر والتوزيع ، ط1، القاهرة / مصر ، 1997م .

5 - عبد الله معتز سيد، الاتجاهات التعصبية ، عالم المعرفة ، مجلة يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، العدد/ 137 .د.ت...

6- -الغذامي، عبد الله، اصطيف عبد النبي ، نقد ثقافي ام نقد ادبي ،دار الفكر ، ط1، دمشق، 2004م.

7 – فضل، صلاح ، بلاغة الخطاب وعلم النص ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والأداب، ط1، الكويت ،1992 .

8– كولر، جوناثان : تر: مصطفى بيومي عبد السلام ، مدخل إلى النظرية الادبية ،المشروع القومي للترجمة، ط1 ، القاهرة، 2003م.

9 – لوبون، غوستاف، سيكولوجية الجماهير، ت: هاشم صالح، دار الساقي، ط7، بيروت/ لبنان ، 2016م.

10 – الماجدي، خزعل، اديان ومعتقدات ما قبل التاريخ ، دار الشرق لنشر والتوزيع ، ط1 ، القاهرة، 1997م.

11 - المصري، راوية، الضحية والقنديل، ط1، دار البيان العربي للدراسات والنشر، بيروت،2023 م.

12 - مورس طوني بينيت لوران غروسبرغ ميغان، مفاتيح اصطلاحية حديثة ، معجم مصطلحات الثقافة والمجتمع.

13 – الوردي، علي ، وعاظ السلاطين، دار كوفان ، ط2 ، لندن، 1995م.